مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

كليات رسائل النّور تفسير شهوديّ للقرآن الكريم
"The Faculty of Letters of Light"
Audience interpretation of the Holy Quran

د. هشام فرّوم
جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف
hichamferroum@gmail.com

تاريخ الإرسال: 13_12_2018 **تاريخ القبول:** 06_05_2019

الملخـــص:

تعدّ (رسائل النور) موسوعة شاملة لجلّ نظرات الإمام التركي الكردي بديع الزمان ميرزا سعيد النورسي وآرائه عن الحياة، وشمول المنظور القرآني الّذي انطلق منه في تناوله للمسائل المختلفة؛ لذا فما من موضوع من الموضوعات الشرعيّة أو غيرها إلاّ وقد أدلى فيه دلوه وأحاطه عرضا وتشخيصا وعلاجا.

وهي تفسير إصلاحيّ مؤسَّس على قراءة خاصة بالقرآن الكريم؛ اتبع فيه خطابا حجاجيا امتزجت فيه مطارحاته وإشاراته العلمية والرياضية والتشريحية والهندسيّة؛ خطاب تكاملي جمع فيه الفلسفي بالتاريخي والعلمي، ما جعل موضوعات شواهده تأخذ حيزا موسوعيا بتدفقها من حقول معرفيّة متعددة.

الكلمات المفتاحيّة: النورسي، رسائل النور، التفسير، الحجاج، الإقناع، التكرار، السياق البلاغي، البعد التداولي، ...

Abstract:

"The letters of Light" is an encyclopedia of the most views of AL Imam Nawrassi and his opinions on life, and the comprehension of the Quranic perspective from where he

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

started treating a lot of various issues. Therefore, he made a presentation and a diagnosis and treatment, in various subjects, linking with religion or not.

It is a reformist interpretation based on a special reading of the Holy Quran. It was followed by an argumentative discourse merged with scientific, mathematical, deconstructive and engineering discourse; wich make his discourse an encyclopedical one, watered by a multi field.

Keyword: Nawrassi, Letters of Light, Interpretation, argumentation, persuasion, repetition, rhetorical context, pragmatic dimension, ..

المقـــال:

في عصر **النُّورْسِي** أخذ التّرك في الانحطاط والتدلّي ودبّ إليهم داء الأمم من قبلهم؛ الحسد والبغضاء، واستبداد الملوك وجورهم وسوء تربيتهم، وفساد أخلاقهم وخيانة الأمراء وغشّهم للأمّة، وإخلاد الشّعب إلى الدّعة والرّاحة، إلى غير ذلك من أخلاق الأمم المنحطة مما هو مبين في كتب التاريخ التركي. وكان شرّ ما أصيبوا به الجمود في العلم والجمود في الصناعة الحربية وتنظيم الجيوش. وكان خليقا بهم – لحرج مركزهم السياسي والجغرافي، وقد أحاطت بهم الدوّل الأوروبيّة إحاطة السّوار بالمعصم– أن يجعلوا وصيّة القائد الإسلاميّ الكبير (عمرو بن العاص) –رضي الله عنه– للمسلمين في مصر نصب أعينهم: "واعلموا أنّكم في رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم وتشوّق قلوبهم إليكم، وإلى داركم". ولكن الترك وقفوا وتقدّم الزّمان، وتخلّفوا وسبقت الأمم الأخرى. ولم يكن الجمود العلمي والكلال الفكريّ مقتصرين على تركيا وأوساطها العلميّة والدّينية فحسب، بل كان العالم الإسلاميّ من شرقه إلى غربه مصابا بالجدب العلميّ، وشبه شلل فكريّ، قد أخذه الإعياء والفتور، واستولى عليه نعاس عام

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

وخمود شامل في جميع العلوم الدّينيّة والفنون الأدبيّة والمعاني الشعريّة والإنشاء والتاريخ ومناهج التعليم.[1]

أمّا عن علماء تلك الحقبة التاريخية فلم يعنوا باكتساب العلوم الحديثة، بل منعوا الأفكار الجديدة أن تدخل منطقتهم، فقد تغلّب الجمود على نظامهم التعليمي، وكانت مشاغلهم السياسية قد طغت في دور الانحطاط، وكانت لا تسمح لهم بأن يتحمّلوا متاعب المشاهدة والاختبار، فلم يكن لهم إلاّ أن يلحّوا على فلسفة أرسطاطاليس، ويبنوا علمهم على الاستدلال، فلم تزل المدارس الإسلاميّة في القرن التاسع عشر المسيحي، كما كانت في القرن الثالث عشر.[2]

وفي ظلّ هذا الانحطاط الفكريّ والتخلّف الحضاري كانت الفرصة مواتية وسانحة للدول الأجنبيّة أن تتدخّل في شؤون السلطة الثقافية والفكرية تحت ستار الامتيازات، فنشطت مؤسساتها الثقافية وإرسالياتها التبشيرية بغية تسريب ثقافات ومفاهيم الغرب إلى المجتمع العثماني.[3] عن طريق دعم حرية الصحافة، وحظر الرقابة على النّشر، وحصانة المراسلات والمطبوعات الأجنبيّة؛ بحيث لا يجري التعدّي عليها أو مصادرتها[4]، بالإضافة

[1]– أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، جامعة الأزهر.

[2]– خالدة أديب، صراع الشرق والغرب في تركيا، محاضرات في الإنجليزية، محاضرة ألقتها في الجامعة الملكيّة الإسلاميّة، الخطبة الثانية: انحطاط العثمانيين، ص40، ص43. conflict of east and west in turkey by halide edib, p40-43

[3]– أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط2، 1986، ص270.

[4]– عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد، تحقيق: محمد حرب، دار القلم، دمشق، ط3، 1991، ص187.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

إلى عدم تمكين الحكومة العثمانيّة من السيطرة على دور البريد الأجنبيّ في اسطنبول[1]، وغير ذلك من الإجراءات الّتي تكرّس الغزو الثقافي والفكري داخل حدود السلطنة. وكانت المحافل الماسونيّة في باريس وراء حركة الترجمة الواسعة للعديد من الكتب الفرنسيّة إلى اللّغات التركيّة والعربيّة والفارسيّة لإثارة النّعرة القوميّة واستغلالها لتمزيق الدولة العثمانيّة.[2] ونشر الأفكار والثقافات الّتي تتنافى مع قيم ومبادئ المجتمع المسلم والتي ساهمت في خلق جيل جديد من المثقفين يتبنى أفكارها ويروّج لها، ويعدها الأساس الّذي لا بديل عنه للإصلاح والتقدّم.

وزاد من حجم وكيف هذا الاتجاه البعثات العلمية الّتي أرسلت إلى الغرب، وخاصّة –فرنسا–، حيث عاد المبعوثون متشبعين بالاتجاه العلمانيّ وبالدعوة إلى القومية المقيتة. وهكذا بدا أنّ اختراق أوروبا الدّيني والثقافي للسلطنة يساوي في مساوئه اختراقها الاقتصادي والعسكري.[3] إذ شهدت هذه الفترة أحداثا جساما عصفت بتركيا، فعاشت دورا حالكا جدا من الاستبداد المطلق والطغيان الغاشم والعداء الصّريح الشّرس للدّين، والسّعي المتواصل لمحاولة إطفاء نور الله، وإمحاء الشريعة، وطمس ثقافة المتجمع التركي، تحت مسميّات مزخرفة كالتمدّن والتحضّر. واستمرّ هذا الوضع المظلم، بل بلغ الأمر

[1]– زكريا بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص204.

[2]– علي بن بخيت الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، دار الرسالة، السعودية، ص 93.

[3]– محمد أمحزون، عصر بديع الزمان النورسي: العثمانيون قراءة تاريخية، بحوث الندوة العلمية الدولية المنعقدة بتاريخ 17 و18 مارس 1999، تنظيم مشترك بين: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال– الرباط، جامعة محمد الخامس، ومركز رسائل النور، اسطنبول، تركيا، تحت عنوان: المجهود سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، سوز للطباعة والنشر، وشركة نسل للطبع، ط1، 2005 ص37.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

بالسلطة الحاكمة آنذاك وعلى رأسها مصطفى كمال أتاتورك إلي قلب كلّ شيء وتغيير كلّ ما يمت إلى الإسلام بصلة؛ عقيدة وتراثا وعادات وتقاليد ... بل حتّى الزيّ والملابس والأرقام وحروف الكتابة والأعياد وأيام العطل ...كلّ هذا وأكثر كان نتيجة حتميّة للنهج التغريبي العلمانيّ الّذي سلكته الجمهوريّة التركيّة.

و لم يتوقف الأمر عند هذا الحدّ، بل عملت السلطة التركية على معاقبة كلّ من يخالف هذه القوانين بأقسى العقوبات، من خلال تشكيل محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاّء، ولكلّ من تحدّثه نفسه بالاعتراض على السلطة الحاكمة.[1]

فساد جوّ من الذّعر والإرهاب في أرجاء البلاد، حتّى أصبح النّاس يخفون القرآن الكريم عن أنظار موظّفيّ الدولة. ونشطت الصّحافة في نشر الابتذال في الأخلاق والاستهزاء بالدّين، ونشر كتب الإلحاد.[2] و لم يكن حال التعليم بأفضل من غيره، فقد تأثّر إلى حدّ بعيد بالأوضاع السّائدة؛ إذ لم يعد التعليم في وسط هذا الغبار المثار الّذي

[1]– لقد آثر علماء كثيرون وأدباء أجلاّء، ترك البلاد على أي تغيير يمكن أن يمسّ ثقافته وعقيدتهم وعاداتهم. وقد حدثت ثورات ضدّ السلطة الحاكمة آنذاك في أنحاء مختلفة من البلاد، ففي سنة 1925 مثلا حدثت: في سيواس في 11/14، وأضروم في 11/25، ومرغش في 11/27، وريزة في 11/02، أخمدت كلها بالقوة. انظر: إحسان قاسم الصالحيّ، نماذج من تطبيقات مقاصدية للنورسي في حياته، ندوة دولية، فقه المقاصد والحكم في فكر بديع الزمان، تنظيم: كلية الشريعة، جامعة القرويين، اللملكة المغربية، ومركز بحوث رسائل النور، اسطنبول، تركيا، يومي 13 و14 مارس 2008، سوز للطباعة والنشر، ط1، 2009، ص333.

[2]– وكان ممّن حملوا لواءها: تكين آلب (يهودي)، وضياء كوك آلب الّذي تتلمذ على العالم الاجتماعي الصهيوني (دركيم) وإن لم يحضر دروسه في فرنسا، واحمد آغاييف، ويوسف أقجورة، ممّن هيّأتهم المخابرات الروسية وأرسلوا إلى تركيا بعد عزل السلطان عبد الحميد. انظر: م ن، ص333.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

سوّد وجه الحياة في تركيا بلد الخلافة وعاصمة الإسلام ذا معنى يذكر. فقد أصبح مصادره ومنابعه مجففة بقرار الساسة الجدد الّذين التوت أعناقهم نحو الغرب، وأرادوا أن يستبدلوا شمس الإسلام بضباب أوروبا وجليدها البارد. وأخذ المعلّمون والمدرّسون يحاولون مسح كلّ أثر إيمانيّ من قلوب الطّلاب الصّغار؛ إذ أصبحوا يلقنوهم الفلسفة الماديّة وإنكار الخالق والنبوّة والحشر. وفي السياق ذاته سعت السلطة الحاكمة آنذاك بتسخير جميع إمكاناتها وأجهزتها وقوتها ومحاكمها إلى قطع كلّ الوشائج والعلاقات الّتي تربط هذه الأمة بدينها وماضيها.

إذن في ظلّ هذا الانحطاط الفكريّ والانحدار الثقافيّ ما كان موقف النُّورْسِي تجاه كلّ ما يجري؟ يقول أديب إبراهيم الدبّاغ في كتابه: (سعيد **النُّورْسِي** رجل الإيمان في محنة الكفر والطّغيان): "ترى أيّ مصير رهيب كان ينتظر تركيا، لو لم يقيض اللّه سبحانه وتعالى هذا الرّجل، في وقت بدأت فيه فؤوس الحقد، ومعاول الهدم تعمل على زلزلة الإيمان وتقويض بنيانه ومسح آثاره من البلاد... يتراءى لنا طيف (الأندلس) شاحبا باكيا وقد انحسر عنه الإسلام وغادره إلى غير رجعة"[1].

نعم؛ لم يكن وسط هذا الظّلام من ضوء يذكر غير ضوء القلب المؤمن المتحدّي بإيمانه رياح التغريب الّتي هبّت على الحياة، فعكّرت صفوها ونشرت فيها جراثيم الجهل. ولم يكن هنالك من شعاع غير مواقف الرّجل العظيم بصلابة إيمانه وقوّة يقينه تردّ التّائهين الحائرين وتبعث في النّفوس أمل الخلاص في يوم يراه الظالمون بعيدا ويراه المؤمنون قريبا.

[1]– المرجع نفسه، ص333، 334.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

لقد تألّقت **رسائل النّور** وكأنّها نسيم يحمل بشائر الشّفاء لأمّة طال مرضها وطال ليلها، وكانت مواقفه وكلماته بمثابة إكسير الحياة للهمم الّتي أصابها اليأس وحطّمها القنوط فكادت تستسلم، فلمّا تعرّفت على مواقف الرّجل وقرأت كلماته دبّت فيها الحياة من جديد، وبعثت فيها كلّ عناصر الاستعصاء على المسخ والتشويه والذوبان، واستيقظت روح المقاومة ضدّ الهزيمة النفسيّة والفكريّة الّتي يريد العلمانيّون أن يفرضوها على أبناء الأمّة، لذلك يوجّه أتباعه بضرورة التصدّي لهؤلاء عن طريق القراءة والتسلّح بالعلم من خلال رسائله الّتي تفضح خططهم وتكشف خباياهم وتهتك ستر مؤامراتهم.[1] فكانت هذه الرسائل موسوعة شاملة لجلّ نظرات **النُّورْسِي** وآرائه عن الحياة من جانب، وشمول المنظور القرآنيّ الّذي انطلق منه في تناوله للمسائل المختلفة، لذا فما من موضوع من الموضوعات الشرعية أو غيرها إلاّ وقد أدلى فيه دلوه وأحاطه عرضا وتشخيصا وعلاجا.

وهيّ تفسير إصلاحيّ للقرآن الكريم، يعتمد على حقائق الآيات الكريمة، وإثبات معانيها، بتوضيحها من خلال استشهادات يتحاور فيها العقل والقلب، وتمتزج فيها الروح واللطائف الأخرى. من خلال تركيزها على تفسير معاني القرآن الكريم أكثر من الاهتمام بتفسير لألفاظه وعباراته؛ تعالج القضايا والمقاصد الأساسية التي يدور عليها القرآن الكريم وهي: التوحيد والنبوة والآخرة والعدالة. وتدحض في الوقت نفسه أباطيل الفلاسفة الأوربيين وشبهات أعداء الإيمان حول القرآن والإيمان من أساسها، وتثبت

[1]– إبراهيم أبو محمد، التعليم في ضوء فكر النُّورْسِي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا، ص19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

حقائق القرآن والإيمان وأركانه بدلائل قاطعة وأدلّة رصينة وأمثلة حية واقعية قريبة. وهي قراءة تبحث عن أسس الإيمان الحقّ من خلال كشف مجوهرات الآيات القرآنيّة المعبّرة عن السنن الإلهية في عمليّة الخلق، وتوجيه الإنسان نحو التعامل مع المخلوقات، وهذا المشروع يقوم على تنبيه ملكتي العقل والقلب أو الروح والعقل معا، وبشكل مواز ومتكامل بحيث يمزج بين وظيفتهما، ويدعو كلّ منهما إلى أن يقوم بدور مكمل للآخر، فلا تنافر ولا تصادم بين الملكتين، بل تمازج تام في الأدوار؛ لذا جاء مشروعه في الرسائل مبينا للدورين اللذين على العقل والقلب القيام بهما، حتى تتحقق إنسانيّة الإنسان، وسعادته في الدارين الأولى والآخرة. وقبل التّفصيل في الأسس التي انبنى عليها هذا التفسير، لابد من تقديم سيرة موجزة لبديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ:

أولا: سيرة ذاتية موجزة للنُّورْسِيّ:[1]

بديع الزمان سعيد النُّورْسِيّ (1876– 1960) عالم مسلم من قبائل الأكراد الهكاريّة. اشتهر، **بالنُّورْسِي**، نسبة إلى مسقط رأسه نُورْس؛ وهي قرية تابعة بناحية (إسبارت) في ولاية بتليس شرقي الأناضول بكردستان تركيا. عاش في فترة حساسة شهدت تحولات وانقلابات هزت أركان الأمة الإسلامية إبّان حكم الدولة العثمانية ما ساهم في بلورة شخصية عالم ربّاني كان له دور فاعل في حفاظ جزء من المجتمع التركي على إسلامه. وما ساعد هذا الرّجل في مواجهة هذا المدّ الجارف تكوينه المعرفي المتين؛

[1]– النُّورْسِي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر، ص39، إحالة رقم 17، ص 35، ص 47، ص 63، ص53، ص10. ينظر أيضا: إحسان قاسم الصالحي، بديع الزمان سعيد النُّورْسِي، نظرة عامة عن حياته وآثاره، مطابع الوفاء، المنصورة، ط3، 1988، ص 132، 136.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

حيث امتاز بموسوعية وشمولية معرفية، اكتسبها من شغفه بالتبحّر في فروع الثقافة المختلفة المتاحة في عصره. يقول مجيبا عن سؤال طرحه شيخه (محمد الجلالي) يتعلق بأيّ العلوم أقرب لطبعه: "لا أستطيع التمييز بين هذه العلوم، فكلّها سواء عندي، فإمّا أن أفهم جميعها حقّ الفهم، أو لا أفهم منها شيئا". ومن هنا قرأ الفقه والجدل والأصول على ثلّة من العلماء والشيوخ، كما قرأ الأدب واللغة، وتتبّع مشايخ الحديث والفقه، حتّى استطاع تحصيلها من مشايخها مستعينا بالصبر وملازمة السهر في المذاكرة والتحصيل والاطّلاع. كما كان يطالع كتب العلوم الحديثة حتى استحصل على أسسها من تاريخ وجغرافيا ورياضيات وجيولوجيا وفيزياء وكيمياء وفلك وفلسفة، وأمثالها من العلوم، وذلك خلال مدة قصيرة جدا، سبر أغوارها بنفسه دون معونة أحد ودون اللجوء إلى مدرّس متخصص. كما عرف عنه قدرته على الحفظ بشكل غير طبيعي؛ حيث يذكر في سيرته أنّه حفظ عن ظهر قلب خلال أربع وعشرين ساعة كتابا في الجغرافيا قبل أن يناظر في اليوم التالي مدرس الجغرافيا ويلزمه الحجّة. وعلى الشاكلة ذاتها ألزم مدرس الكيمياء، بعد أن حفظ كتابا في الكيمياء العضويّة، ما يؤكّد تعدد مواهبه وذكائه الخارق وقوّة ذاكرته. إلى حدّ أنّه ما كان يُسأل سؤالا عن أيّ علم كان إلاّ ويجيب عنه إجابة شافية. فاستغرق في القراءة والدراسة حتى انقطعت علاقته مع الحياة الاجتماعيّة.

لم يتجاوز سنه الخامسة عشر حتّى شاع صيته وذاع خبره وانتشر بين العلماء والمشايخ وطلاّب العلم. فقد كانت له في هذه المرحلة مناظرات مع علماء أجلاّء في أعقد المسائل تفوّق على الجميع فيها، حتّى باشر قسم من هؤلاء العلماء يجلسون منه مجلس الطلاّب لينهلوا من فيض علمه، وأطلقوا عليه اسم (**سعيدي مشهور**)؛ أي (**السعيد المشهور**). وقد كان اهتمامه بشأن العامة وحالها ودعوته المستمرة للإصلاح

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

والتغيير؛ سببا رئيسا في عدم تفرغه للكتابة، ولولا السنوات الخمسة والثلاثين التي قضاها بين النفي والتشريد والسجن لما تسنّى له ربما كتابة مؤلفه الكبير (كليات رسائل النور) الّذي يحوي مجموعة من الرسائل تتوزع بين اللغتين العربية والتركية؛ وهي: الكلمات، المكتوبات، اللمعات، الشعاعات، إشارات الإعجاز في مظانّ الإيجاز، المثنويّ العربيّ النّوري، الملاحق في فقه دعوة النّور، صيقل الإسلام، سيرة ذاتية، الفهارس.

وهكذا، وبعد ستة وثمانين عاما من تجارب الحياة، وبعد مصارعة للمرض رحل **النُّورْسِي** عن هذه الحياة، وصعدت روحه إلى بارئها، وكان ذلك في تمام **الساعة الثالثة من صباح يوم الأربعاء، الخامس والعشرين من رمضان سنة 1379هـ الموافق لـ الثالث والعشرين من مارس 1960**، ودفن في مقبرة (أولو جامع) بمدينة (أورفة)، وبعد مرور خمسة أشهر على وفاته قامت السلطات بنقل رفاته إلى مدينة (إسبارطة) حيث دفن في مكان ما لا يزال مجهولا إلى يومنا هذا.

لقد جرت أكثر أحداث حياته خارجة عن طوق اقتداره وشعوره وتدبيره "إذ أعطيت لها سير معيّن ووجهت وجهة غريبة لتنتج هذه الأنواع من الرسائل التي تخدم القرآن الكريم، بل كأنّ حياته العلمية كلّها بمثابة مقدمات تمهيدية لبيان إعجاز القرآن.

ثانيا: تماشي فعل النُّورْسِيّ مع قوله:

لم تكن **رسائل النّور** تفسيرا تقليديا، وإنّما كانت أداة للوعظ والإرشاد، ووسيلة لمحاولة تغيير الواقع العثماني الّذي شهد تحولات مسّت أقدس ما يملك؛ لذلك لم يكتف النورسي بما يجمله هذا التفسير من معان ومضامين للدفاع عن الدين الإسلامي، وإنّما كانت مواقفه أيضا دائما تصنع الحدث بما تضمنته لأرقى درجات الصّلابة في مواجهة الأعداء الّذين يريدون إفساد الحياة والأحياء وذلك بقطع صلته بالإيمان الّذي يمنح الحياة قيمتها ومعناها. من هذه المواقف ما جاء في أحد محاكماته؛ موجها كلامه للقضاة: "ألا

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

فاعلموا جيّدا أنّه لو كان لي من الرؤوس بعدد ما في رأسي من شعر، وفصل في كلّ يوم واحد منها عن جسدي فلن أحني هذا الرّأس الّذي نذرته للحقائق القرآنيّة أمام الزنادقة"[1]. وما يؤكّد هذا التوجّه في حياة النورسي تلك المساجلات والحوارات التي دارت بينه وبين **مصطفى كمال** رئيس الجمهوريّة التركيّة أثناء زيارته لأنقرة بعد إلحاح كبير من الأخير بمناسبة نجاح حرب الاستقلال في الأناضول وتأسيس مجلس الأمّة في أنقرة. يقول: "دعيت لزيارة أنقرة سنة 1922 وشاهدت قرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلاميّ، إلاّ أنّني أبصرت – خلال موجة الفرح هذه– زندقة رهيبة تدبّ بخبث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الرّاسخة بغية إفسادها وتسميمها .. فتأسفت من أعماق روحي، وصرخت مستغيثا بالله العليّ القدير"[2]. وهناك وجد أنّ معظم أركان الدولة لا يؤدّون حتّى الفرائض فوجّه إلى المجلس النيابي (**مجلس المبعوثان**) بيانا مؤثّرا باللغة العربيّة استهلّه بـــ " أيّها المبعوثون إنّكم لمبعوثون ليوم عظيم"[3]، كان له تأثير عجيب على الأعضاء الّذين أقسم منهم على الفور ما لا يقلّ عن (160) عضوا أن ينتهجوا حياة إسلاميّة وأن يؤدّوا صلواتهم اليومية الخمس بانتظام.

أثار هذا العمل حفيظة مصطفى كمال، فاستدعى **النُّورْسِي** ودخل معه في مناقشة قويّة. ودار بينهما هذا الحوار:

---

[1]– النُّورْسِي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر، ص856.

[2]– النُّورْسِي، اللمعات، ص267.

[3]– النُّورْسِي، سيرة ذاتية، ص 183.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

مصطفى كمال: إنّنا فخورون بك كقائد لنا، ولكنّك لسوء الحظّ، أوجدت الفرقة منذ البداية بتركيزك على أهميّة الصّلاة، وإنّنا لم نسمح لكم أبدا أن تتمادوا فتطالبوا بإقامة الشعائر الدينية، وتوقعوا الشقاق والخلاف والخصومة بين رجالات الأمّة".

فقاطعه **النُّورْسِي** بتلاوة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الّتي تبيّن مكانة الصّلاة وأهميّتها، ثمّ يلوّح بسبابته مهدّدا، ويشير بها إلى عين رئيس الدولة مصطفى كمال صارخا في وجهه أمام مجموعة من النوّاب والشخصيّات: باشا.. باشا.. إنّ الصلوات اليوميّة هي أوّل علامات يعرف بها المسلم، وذلك ترفضه أنت، ومن ينكر ذلك فهو عاص لله . إنّ أعظم الحقائق الّتي تلي الإيمان هي الصّلاة .. وإنّ تارك الصّلاة خائن، وحكم الخائن مردود، ومن هنا لا يمكن الرضا بحكمك"[1].

وقد حاول مصطفى كمال تهدئة خاطره بتقديم الامتيازات والإغراءات الكثيرة إلاّ أنّه لم يكن ليبيع آخرته بمتاع من الدنيا قليل. ما عرّضه للاتهامات والملاحقات والمطاردات والسجون والمعتقلات والمحاكمات والمنافي، ممّا لم يمرّ في حياة إنسان وهو صابر محتسب يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة. و لم تمنعه كلّ هذه المضايقات من التعاطي مع مجريات الأمور من حوله بنفس الطريقة والأسلوب، حتّى في مرافعاته في المحاكم كان –رحمه الله– يستغل الموقف والفرصة لتفويت رسائل إيمانيّة حسب ما يقتضيه المقام بذكاء وحنكة لا نظير لهما؛ وهذا ما جعله عرضة للاضطهاد والتوقيف؛ حيث عاش أغلب فترات حياته متنقلا بين السجون والمعتقلات.

[1]– المصدر السابق، ص 186. انظر أيضا: جمال بن عمار الأحمر، الإمام بديع الزمان النُّورْسِي، حياته، دعوته، جهاده، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرفي، باتنة، الطبعة الأولى، 1984، ص47.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

فكان بعلمه ومواقفه وسلوكه القدوة الحسنة للناس في تطبيق تعاليم الإسلام في الواقع؛ حيث ظهر في وقت كانت الدولة العثمانيّة مقبلة على الانهيار، ودعاة التغريب والعلمنة في أوجّ قوّتهم، داعيا الأتراك إلى العودة إلى الإسلام الصّحيح.

ثالثا: الاعتماد على محصول العلوم التجريبية:

اعتمد النورسي في تفسيره على ما أنتجته العلوم الحديثة؛ لإيمانه العميق أنّ تحصيل العلم لدى الإنسان يعدّ مقصدا إلاهيا، بل يعتبره "الوظيفة الفطريّة" الّتي أنيطت بالإنسان قبل خلقه؛ وهي وظيفة التكمّل بالتعلّم والترقّي عن طريق اكتساب العلوم والمعارف المختلفة. يقول في هذا الصّدد: "فلقد جيء بهذا الإنسان إلى هذا العالم لأجل أن يتكامل بالمعرفة والدعاء؛ لأنّ كلّ شيء فيه موجّه إلى العلم ومتعلّق بالمعرفة حسب الماهيّة والاستعداد"[1]. لذا وجّه جزء كبير من اهتماماته لمحاربة الجمود الفكريّ والانحطاط الثقافي بدعوة العلماء دوما لطلب العلوم التجريبية والمعارف الحديثة، وذلك بالنّظر في مستحدثات العصر، ووضعها في أطرها التعليميّة والتربويّة شرط أن تنبثق وتصدر عن مشكاة القرآن الكريم، فلا تعارض في رأيه بين العلم النافع والإيمان الصّادق "فالعلم هو ما يستقرّ في القلب، فلو استقرّ في العقل وحده لا يكون ملك الإنسان"[2].

كما أنّ العلاقة بين العلم والإيمان هي علاقة تكامل؛ فالعلم خادم للإيمان والإيمان دافع ومحفّز للعلم، ولكن متى خرج العلم عن أطر الإيمان وضوابطه، أصبح وبالا من وجهة نظر الإيمان والعقول الصحيحة، وهذا الّذي كان يتعوّذ منه النبي عليه الصلاة

[1]– م ن، ص355.

[2]– النُّورْسِي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر، ص599.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

والسلام في دعائه الّذي كان يقول فيه: "**أعوذ بك من علم لا ينفع**"[1]. وفي هذا المعنى يقول النورسيّ: "إنّ جميع أهل الاختصاص والشّهود وجميع أهل الذّوق والكشف من العلماء المدققين والأولياء الصّالحين متّفقون على أنّ زاد طريق أبد الآباد، وذخيرة تلك الرحلة الطويلة المظلمة ونورها وبُراقها ليس إلاّ امتثال أوامر القرآن الكريم واجتناب نواهيه، وإلاّ فلا يغني العلم والفلسفة والمهارة والحكمة شيئا في تلك الرّحلة، بل تقف جميعها منطفئة الأضواء عند باب القبر"[2]. ولعلّ ما يؤكّد فكرتنا هذه تشبّع معجمه اللّغويّ بالمصطلحات العلمية، والهندسية، والفنية. كما طغت على موضوعاته الأشكال، ومفردات القياس، والمساحة، والأبعاد،

هذه النّظرة حاول تجسيدها بمحاولته الجادّة لإنشاء (جامعة الزهراء) الّتي أراد لها أن تكون معملا ومختبرا لأسلمة العلوم وتأصيلها وفق المنظور القرآني للكون والحياة والإنسان. وتكون مركزا رقابيا قرآنيا أو شرعيا على العلوم الوافدة من الغرب.[3]

ونظرا لقيمة التربية والتعليم في حياة الفرد المسلم، ونظرا إلى أنّ أيّ حضارة لا تقوم مؤسساتها التعليمية على التربية الرشيدة واقعا عمليا، لا يمكن أن تسير طويلا مهما ارتقت وتفننت في الوسائل. كان اهتمام **النُّورْسِي** –رحمه الله– بهذا المجال بقدر ما يستحقّه وأكثر. فقد استطاع بقوة الشخصيّة وحضور العزيمة والأسوة الحسنة أن يؤثّر تأثيرا إيجابيا في حياة المعلمين والمربّين والموجّهين باعتبارهم القنوات الّتي تحمل إلى عقول

[1]– أخرجه مسلم والترمذي والنّسائيّ.

[2]– النُّورْسِي، الكلمات، مصدر سابق، ص29.

[3]– النُّورْسِي، المحاكمات، بتصرف، ص17. انظر أيضا: سعاد بيلديرم، مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلاميّة، حلقة دراسية، بديع الزمان النورسي وفكره ودعوته، المعهد العالي للفكر الإسلاميّ، مكتب الأردن، مركز بحوث رسائل النور (تركيا)، أكتوبر 1992، ص36–37.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

النّاشئة، وطلابهم بضرورة التحقيق والتوثيق مع الموازنة ومعرفة الأحجام والكتل والنسب بين الأشياء حتّى يتمكّنوا من الإثبات والإقناع. ولكي تكون حجّتهم أوضح ودليلهم أسند وأوثق لابدّ لهم أن يسلكوا مسلك القرآن في استعمال التجربة في الماديّات المحسوسة واستعمال النّظر والبرهان في العقليّات، وذلك يقتضي صدق الرواية، وسلامة التوثيق، لذلك يقول لهم: "على الوعّاظ والمرشدين المحترمين أن يكونوا محققين كي يتمكّنوا من الإثبات والإقناع، وأن يكونوا أيضا حكماء مدقّقين كي لا يفسدوا توازن الشّريعة، وأن يكونوا بلغاء مقنعين كي يوافق كلامهم حاجات العصر، وعليهم أن يزنوا الأمور بميزان الشّريعة"[1].

هكذا يُزيح النّورسيّ بكلماته تلك أهمّ معوّقات التّعليم في زمنه، فليس من المقبول أن يعيش المرشد والمربّي والواعظ خارج إطار الزّمان والمكان، أو أن يتعلّق بأسانيد واهيّة وقصص لا برهان له ولا دليل عليه، كما أنّ المبالغة في حجم الفكرة أو الموضوع يفسد قيمتها ويجعلها موضعا للشكّ والظنّ. ومن هنا تأتي ضرورة معرفة الأولويات وأهميّتها بالنسبة للمعلم والمتعلم، فبغيرها تختلط الأشياء وتتداخل، وبالتالي تصعب رؤية الحقائق بشكل واضح، وهذا ما يجعل من قبول تلك المعارف أمر بعيد المنال.

رابعا: التنويع في آليّات الاحتجاج وطرق الاستشهاد:

أكّدت الدّراسات على فكرة أنّنا نتكلّم بعامّة بقصد التأثير. وأنّ اختيار المفردات وترتيبها في صيغ الكلام يمنحان اللّغة فعلا تأثيريا. أي أنّ الخطاب يحمل في طيّاته بصفة ذاتيّة وجوهريّة وظيفة حجاجيّة تتجلى في بنية الأقوال ذاتها؛ صوتيا، وصرفيا، وتركيبيا،

[1]– النُّورْسِي، المحكمة العسكرية، ص 69. انظر: عبد الله الطنطاوي، منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النُّورْسِي، دار العلم، دمشق، ص63.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

ودلاليا. واللّغة العربية أصدق شاهد على ما نقول فقد عدّت في مقدّمة اللّغات الحية، لما وصلت إليه من تهذيب في ألفاظها، وسموّ في أساليبها، ودقّة في تراكيبها، ومرونة في التعبير عن حاجاتها، وتنوّع فنون القول فيها. وممّا ساهم أيضا في تعدّد آليات الإقناع ضمن بنيتها الدّاخليّة، أنّها كانت ولا تزال مرآة انعكس فيها كلّ ما يسير عليه النّاطقون بها في شؤونهم الاجتماعيّة العامّة والخاصّة، ويشمل ذلك العقائد والعادات والتقاليد والمبادئ، وغير ذلك ممّا يصبغ اللّغة بصبغة خاصّة في جميع مظاهرها: في الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب. فما يكون عليه الأفراد على سبيل المثال، من حشمة وأدب في شؤونهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض ينعكس صداه في لغتهم.

وقد تنوعت الوسائل اللّغويّة الّتي لجأ إليها النورسيّ للإقناع بحججه؛ ولذا تتعدّد نقاط الاهتمام في هذا المستوى من البحث وتتكامل فيما بينها لتؤسّس مجتمعة ما به يرسم المتكلّم استراتيجية الإقناع في خطابه، والّتي من خلالها يوجّه متلقّيه نحو غاية يجنّد لها كلّ جزئيّات القول ودقائقه. ولكن نظرا لأهمية كلّ وسيلة من هذه الوسائل فلا ينبغي المرور عليها مرور الكرام، وإنما إعطاؤها المساحة البحثية التي تستحقها وهذا مطلب بحثي معرفي لا يتماشى مع طبيعة ورقتنا البحثية؛ لذا سأحاول باختصار استكشاف ثلاثة وسائل ذات صلة وثقى بالإقناع، ولها دورها المهم في توجيه مقاصد النورسي التفسيريّة:

1– التكرار:

التكرار من الأساليب المعروفة في اللغة العربية، ومن سمات فصاحتها، استعمله العرب في كلامهم لغايات متعددة. وهو من المظاهر الشائعة في القرآن الكريم والحديث النبوي بطريقة مدركة فنيا وبلاغيا؛ من حيث تمثيله جانبا من جوانب البلاغة القرآنية والنبوية مهما. يرد في الكلام للفائدة. وهذا ما دفع أهل اللغة إلى أن يولوه اهتماما كبيرا. وقد أجمعت أو تكاد الدراسات الدائرة حول الحجاج وأفانينه على أهمّيّة الدور الحجاجي

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

الّذي يضطلع به هذا الأسلوب بوصفه وسيلة يرمي من خلالها عرض الخطاب عرضا حجاجيا لإبراز شدّة حضور الفكرة المقصود إيصالها.

يرى **النُّورْسِيّ** أنّ التكرار مهم جدا، ولابدّ منه، سيما في القرآن الكريم، ويردّ على الّذين يعدّون ذلك نقصا فيقول: "اعلم أنّ القرآن لأنّه كتاب ذكر، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، وليس كما ظنّه القاصرون، إذ الذّكر يكرّر، والدّعاء يردّد، والدّعوة تؤكّد، إذ في تكرير الذّكر تنوير، وفي ترديد الدّعاء تقرير، وفي تكرار الدّعوة تأكيد"[1]. ويقول: "اعلم أنّ القرآن يبحث عن مسائل عظيمة ويدعو القلوب إلى الإيمان بها، وعن حقائق دقيقة، ويدعو العقول إلى معرفتها، فلابدّ لتقريرها في القلوب وتثبيتها في أفكار العامة من التكرار في صور مختلفة وأساليب متنوّعة"[2]. ولعلّ من أجمل إبداعات **النُّورْسِيّ** حديثه عن اللّذة المترتبة عن أسلوب التكرار في القرآن الكريم؛ وقد ربط بين لذّة التجدّد والتنوّع في التكرار باللّذة البيولوجيّة؛ وهو ربط في منتهى الإقناع والإبداع؛ حيث قرن الحكمة من التكرار بما ينتج عن اللّذة البيولوجيّة من الأكل والشّرب؛ وهي التفاتة لطيفة تعكس وعيا نفسيا وروحيا عاليا. والنماذج الحيّة الناطقة بهذا الوعي النفسيّ، والإدراك الجمالي يفسّرها قوله: "اعلم أنّه كما أنّ الحاجات الجسمانيّة مختلفة في الأوقات؛ كذلك الحاجات المعنوية الإنسانيّة أيضا مختلفة الأوقات . فإلى قسم في كلّ آن كـــ"هو الله" للروح. –كحاجة الجسم إلى الهواء– وإلى قسم في كلّ ساعة كـــ "بسم الله" وهكذا فقس"[3]. معنى هذا أنّ تغيّر الحاجة البيولوجية وتنوّعها

[1]– النورسي، المكتوبات، ص 267.

[2]– م ن، ص268. النورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر، ص305.

[3]– م ن، ص305.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

يرتبط بتغيّر الأزمنة والبيئات، لذا فتكرار بعض الآيات القرآنية كتكرار الحاجات البيولوجية الّتي لا غنى للمرء عنها مع ارتباطها بالتوحيد بغية التجدّد المستمر. وهذا يمثّل جانبا من الإعجاز البديع في القرآن الكريم. والشّاهد قوله: "إنّ تكرار الحاجة يستلزم التكرار، هذه قاعدة ثابتة، لذا فقد أجاب القرآن الكريم عن أسئلة مكررة كثيرة خلال عشرين سنة فأرشد بإجاباته المكررة طبقات كثيرة من المخاطبين. فهو يكرر جملا تملك ألوف النتائج، ويكرر إرشادات هي نتيجة لأدلة لا حدّ لها ... لذا فإنّ تكرار تلك الجمل والآيات عند بيان أمثال هذه الأمور العظيمة الهائلة لا يعدّ نقصا في البلاغة قطّ، بل هو إعجاز في غاية الروعة والإبداع، وبلاغة في غاية العلو والرفعة، وجزالة –بل فصاحة– مطابقة تطابقا تاما لمقتضى الحال"[1]. إذن فمفهوم الحاجة دلالة على أن التكرار لا يردّ ما تطلبه الرغبة الملحّة، ومن المقرر في الطبع الإنسانيّ أنّ الشيء إذا تكرر طلبه بعد مشقّة وعناء، ازداد الاشتياق والتعلّق النفسيّ به؛ يقول: "فتكرار الآيات والكلمات إذن للدلالة على تكرّر الاحتياج، وللإشارة إلى شدّة الاحتياج إليها، ولتنبيه عرق الاحتياج وإيقاظه، وللتشويق على الاحتياج، ولتحريك الاحتياج إلى تلك الأغذية المعنوية "[2].

يفهم من كلامه أنّ التكرار دون حاجة لا وجود له في القرآن، لأنّ ذلك معيب بمنطق الشرع، والعقل، والطبع، ويمثّل لذلك من القرآن الكريم بقوله: "إنّ جملة ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾ هي آية واحدة تتكرر مائة وأربع عشر مرة في القرآن الكريم ذلك لأنّها حقيقة كبرى تملأ الكون نورا وضياء وتشدّ الفرش بالعرش برباط وثيق –كما بيناها في اللمعة الرابعة عشرة– فما من أحد إلاّ وهو بحاجة مسيسة إلى هذه الحقيقة في كلّ حين، فلو تكررت هذه الحقيقة العظمى ملايين المرّات، فالحاجة ما زالت قائمة باقية

[1]– النورسي، الكلمات، ص528– 530.

[2]– م، ص، ن.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

لا ترتوي؛ إذ ليست هي حاجة يومية كالخبز، بل هي أيضا كالهواء والضياء الّذي يضطر إليه ويشتاق كلّ دقيقة"[1].

ظاهر كلام **النُّورْسِيّ** أنّ القرآن غذاء روحيّ لا يملّ مهما تكرّر؛ لأنّه يستمدّ قوّته من طاقة إلهية لا تنضب، ومن مادّة الوحي الثريّة الّتي تشعّ من حقيقة البسملة الّتي هي نور أبديّ سرمديّ أزليّ تتفجّر قوته من هذا الإشعاع الربّانيّ؛ فالتكرار هو الشعاع الإلهي، والنّور الّذي تجلت حلاوته، وانتشر أريجه في البسملة.

يواصل –في هذا النهج تأكيدا على قيمة التكرار وارتباطه بإعجاز القرآن الكريم– تفسير الآيات الواحدة تلو الأخرى. يقول في نصّ آخر: "إنّ الآية الكريمة ﴿**وإنّ ربّك لهو العزيز الرّحيم**﴾ تتكرر ثماني مرّات في سورة (الشعراء). فتكرار هذه الآية العظيمة الّتي تنطوي على ألوف الحقائق في سورة تذكر نجاة الأنبياء –عليهم السّلام– وعذاب أقوامهم، إنّما هو لبيان أنّ مظالم أقوامهم تمسّ الغاية من الخلق، وتتعرض إلى عظمة الربوبيّة المطلقة، فتقتضي العزّة الربّانيّة عذاب تلك الأقوام الظّالمة مثلما تقتضي الرحمة نجاة الأنبياء عليهم السلام، فلو تكررت هذه الآية ألوف المرّات لما انقضت الحاجة والشوق إليها، فالتكرار هنا بلاغة راقية ذات إعجاز وإيجاز"[2].

إنّ القراءة الهادئة المتأنّية لتفسير **النُّورْسِيّ** تقودنا إلى فهم المقابلة الدلالية التيّ تناولها في هذه السّورة وغيرها من السور؛ هي مقابلة تكشف عن الغاية السامية من الخلق وهي عبادة الله تعالى، والانحراف عن الفطرة موجب لعذاب الله؛ كما أنّ دعوة الأنبياء لأقوامهم ومعاناتهم مصونة برعاية الله.

[1]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2]– م ن، ص528– 530.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

وفي النهج ذاته تناول **النُّورْسِيّ** بالتفسير كذلك آية: ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ من سورة الرحمان، وآية: ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ من سورة المرسلات. فيقول: "وكذلك الآية الكريمة ﴿**فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ المكررة في سورة (الرحمان)، والآية الكريمة ﴿**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ**﴾ المكررة في سورة (المرسلات) تصرخ كلّ منهما في وجه العصور قاطبة وتعلن إعلانا صريحا في أقطار السموات والأرض أنّ كفر الجنّ والإنس وجحودهم بالنعم الإلهية، ومظالمهم الشنيعة، يثير غضب الكائنات ويجعل الأرض والسموات في خنق وغيظ عليهم... ويخلّ بحكمة خلق العالم والقصد منه... لذا فهاتان الآيتان ترتبطان بألوف من أمثال هذه الحقائق، ولها من الأهمية ما لألوف المسائل وقوتها، لو تكررتا ألوف المرّات في خطاب عام موجّه إلى الجنّ والإنس لكانت الضرورة قائمة بعد، والحاجة إليها ما زالت موجودة باقية فالتكرار هنا بلاغة موجزة جليلة ومعجزة جميلة"[1].

انفرد **النُّورْسِيّ** هنا بقراءة تفسيرية نابعة من رحم فلسفة التوحيد والإيمان، وأعتقد أنه في تفسيره هذا قد أصاب كبد الحقيقة، وأتى بما يُوجِب الفضيلة البيانية حين فسّر تجدّد الإقرار والاعتراف بنعم الله تعالى بغفلة الخلق (جنا وإنسا) عن فعل الإنعام وعن مصدرها. وكأنّه يشير إلى حقيقة التوحيد الموجبة لتجديد العهد مع المنعم والاعتراف بفضله.

ما يمكن التأكيد عليه ختاما هو أنّ تكرار الحقائق القرآنية في تجلياتها الفلسفية يصوّب كثيرا من التصوّرات الخاطئة، ولا يقدح أبدا في بلاغة القرآن، وسموّه الفنّي. بل العكس هو بلاغة عالية وصنعة سامية، له ما يبرّره دائما لارتباطه بالحاجة والتجدّد دائما.

[1]– المصدر السابق، الصفحة نفسها.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

وقد عالج **النُّورْسِيّ** ظاهرة التكرار في تفسيره من خلال ربط الأمثلة الجزئيّة لهذه الظّاهرة بالتصوّر الكلّي الشّامل لأسرارها وحكمتها، على نحو أزال فيما أعتقد ما قد علق في بعض الأذهان من شبهات حولها، وأظهر ما فيها من حكمة وبلاغة وإعجاز.

فمن مقاصد التكرار الّتي ذكرها في رسائله التقرير والتأكيد والتثبيت وكلّها معان ذكرها المتقدمون وأفاضوا في شرحها وتفصيلها، غير أنّه عالجها من منطلق الحقائق الإيمانيّة؛ ومن ثمّ انفرد في منهج المعالجة. يقول: "اعلم أنّ القرآن لأنّه كتاب ذكر، وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ وألزم، وليس كما ظنّه القاصرون، إذ الذّكر يكرّر، والدّعاء يردّد، والدعوة تؤكّد؛ إذ في تكرير الذّكر تنوير، وفي ترديد الدّعاء تقرير، وفي تكرار الدّعوة تأكيد"[1].

لقد ربط **النُّورْسِيّ** التكرار بمسائل الإيمان المحوجة إلى التمكين والترسيخ والتثبيت؛ لأنّ هذه الشعائر التعبديّة ألصق بالقلب، والوجدان وهو موطن التأثير. وتتجلى جماليات التكرار في صوّر شتّى من التقرير والتأكيد والتثبيت؛ وكلّها أنماط لها تعلّق بالحقائق الإيمانيّة الموجّهة لتثبيت العقيدة وترسيخها في القلوب من خلال مسلك التكرار المفضي إلى الإقناع والحقيقة واليقين.

واللاّفت للنّظر أنّ **النُّورْسِيّ** لم يقصر مقاصد التكرار على ما ذكر آنفا، بل انفرد بمقصد مهم جدا وهو التأسيس الّذي يستند إليه التأكيد. والّذي هو بمثابة مقدمة لتأكيد سياق التكرار فتسبقه وتعضده. يتّضح ذلك من حديثه عن الكلمات التي تتكرر بعد الصلوات ثلاثا وثلاثين مرة وهي "**سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر**". يقول: "هذه الكلمات المباركة التي تتكرر بعد الصلوات؛ شاهدت أنها ليست تكرارا، بل تأسيس، أو

[1]– النورسي، المكتوبات، ص 267– 268.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

تأكيد في تأسيس معانيها متساندة لا متّحدة"[1]، فالذّاكر حين يردد: **الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر** يردّد الألفاظ ذاتها، لكن دلالتها في نظره تتجدّد، فمعانيها في نفس الذّاكر ليست متحدة، وقد عبّر عن هذه الفكرة بعبارة أخرى في قوله: "تأكيد في المعنى، تأسيس في المقاصد والثمرات"[2]. ويقول أيضا: "اعلم أنّ القرآن مؤسّس لهذا الدّين العظيم المتين، وأساسات لهذا العالم الإسلامي، ومقلّب لاجتماعيّات البشر ومحوّلها، ومبدّلها، وجواب لمكررات أسئلة الطّبقات المختلفة للبشريّة بألسنة الأقوال والأحوال... ولابدّ للمؤسّس من التكرير للتثبيت، ومن الترديد للتأكيد، ومن التكرار للتقرير والتأييد"[3]. ظاهر كلامه أنّ التأسيس هو توليد للمعاني، وإثراء للمقاصد، فاللفظ المكرّر ظاهرا هو امتداد للمعنى المتواصل، وتوسيع من المجال الدلاليّ للكلمات؛ لبلوغ الغاية من التأييد، والتقرير والتأكيد؛ فاللفظ المردّد يعضد قرينه في سلسلة متعاضدة ومتساندة، لا اتحاد بينهما إلاّ في الصّورة اللّفظيّة.

2– السياق البلاغيّ:

لقد طوّع **النُّورْسِيّ** الصور المجازية في رسائله لصوغ الأفكار والتصورات والتي يمكن أن يقال عنها "إنها رسائل يمكن أن تُحسم رؤية فنية مبرأة من التزويق الخدّاع"[4]. غير أن جماليتها تشع بجمالية يطبعها الذوق السليم والفطرة الصحيحة إلى درجة أنك لا تستطيع أن تتلمس صورة التشبيه، والاستعارة، والمطابقة، والتمثيل، إلا من خلال

[1]– النورسي، المثنوي، ص141.

[2]– م ن، ص142.

[3]– النورسي، المكتوبات، ص267–268.

[4]– عشراتي سليمان، جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، دار النيل للطباعة والنشر، ط1، 2005، مصر، ص100.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

السياق. ومن ثم ابتعد النص النوريّ على اللغة المصطنعة التي لا تأبه بالمظاهر الخداعة والتسميات البراقة. وهذا الذي تعلمه من القرآن الذي سَهُل أسلوبه وامتنع عن الإتيان بمثله، لذلك يقول: "فانظر إلى كلمات القرآن مع كونها سهلة بسيطة معروفة كيف صارت أبوابا ومفاتيح لخزائن لطائف المعاني. ثم انظر إلى مطنطنات كلمات الحكمة الفلسفية كيف أنها مع شعشعتها لا تفيدك كمالا علميا ولا ذوقا روحيا، ولا غاية إنسانية، ولا فائدة دينية"[1].

إنّ سياقات **النُّورْسِيّ** المجازية في رسائله يمكن أن تلمح فيها صورة المهندس المعماري الذي يلمح ببصره الثاقبة العميقة عناصر التوازن في معمار الكون، لهذه نجده يقول: "فكما أنّ مكملية نقوش تزيينات قصر بلا قصور، تظهر لكم كمالية أفعال الصانع المهندس المستترة تلك الأفعال تحت النقوش، والمتحركة تحت التزيينات. ومكملية تلك الأفعال تصرّح لك بمكملية أسماء ذلك الفاعل، أي هو صانع ماهر ومهندس عليم ونقاش حكيم"[2]. كما اعتمد في تصويره البلاغيّ على الفلسفة؛ لأنّ الفلاسفة عكفوا على النظر في التأثيرات الفلسفية للخطاب في القديم والحديث؛ حيث كان "**أوستين**" أول من بعث نظرية الأفعال اللغوية، وقد كانت الفلسفة تهتم باللغة منذ القدم وكان البلاغيين القدامى تداوليين.[3]

لقد توفرت في تفسير النورسي حجّة الاستدلال، وحجة التمثيل والاستشهاد في دفاعه عن أقدس القضايا وهي الدين الإسلامي. وجاءت شواهده من حقول معرفية

[1]– النورسي، المثنوي، ص 54.

[2]– م ن، ص 51 .

[3]– فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، 2007، سوريا، ص20.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

متعددة؛ من ثقافة المزارع، والمهندس، والكيميائي، والرياضي تجعل الكلمة في نصوصه معبّرة، وتجعل من الكائنات أنساقا خطابية تحقق هدف الرسالة التي يدعو لها، والقائمة على إثبات الألوهية، فهو يقول: "فكما أنّ التصرف الحقيقي في أدنى مخلوق، والربوبية على أضعف موجود يختصان بمن دخل في قبضة تصرفه جميع العناصر، كذلك إنّ تدابير أي عنصر كان وتدويره يختصّ بمن يربي جميع الحيوانات والنباتات ويدبرها ويأخذها في قبضة ربوبيته سبحانه ... فهذا خاتم توحيد يبصره من لم يكن في عينيه غبن وعلى قلبه رين"[1]. إنها نماذج تقود مقدّماتها إلى نتائج محققة في مجموعة كميات أشبه بمتتالية ارتبطت أفكارها بشكل استقرائي من خلال ربط كل حد بسوابقه. وسلسلة الكلام عنده مجموعة أعداد منتهية أو لا منتهية من الحدود.

والمتمعّن في سمات الخطاب التفسيري عند النورسي نجد استحواذ الصوّر البيانية والإبداعات الفنيّة والذوق الأدبيّ وروائع التشبيه والتمثيل والخيال والشاعريّة وفنون الاستعارة والكناية والرموز والتلويحات ومشارق البلاغة والبيان على القسم الأكبر منه. وكأنّه مهرجان جماليّ تناغمت فيه الألوان والصوّر، فأنتجت تحفة أدبيّة دينيّة رائعة، جمعت بشكل متناسق وتناغم بين شاعريّة الرّوح والنّفس، ووجدانيّة الانسياب، ورشاقة الصور والأخيلة مع جزالة الألفاظ وعمق الأفكار ودقّة المعاني، وشموخ المقاصد ووضوح الأهداف. وليس هذا بالصّعب على النورسيّ صاحب النّفس الشاعرة والرّوح التوّاقة والقلب المشتاق والوجدان الرقيق المرهف، مع الذّكاء الخارق والعقل الاستيعابي الموسوعي الشموليّ. لذا لو أردنا أن نصف هذا الكتاب لقلنا ما قاله الشاعر المهجري والأديب الكبير (**أديب إبراهيم الدبّاغ**): "إنّه ليس سوى لوحة فنيّة رائعة الجمال، رسمها فكر ملتهب، وكوّنها قلب دام، وسكب عليها الظلّ والضياء روح حزين مغترب، فلا

[1]– النورسي، المثنوي، ص 48.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

عجب إن شدّت –هذه اللوحة– إليها الانتباه، وقيّدت بها الأفكار، وجست عليها الأرواح، وأوقفت لها القلوب. وهي بموسيقيّة ألوانها، وتناغم ظلالها وأضوائها، وإشراق آفاقها، وامتداد أمدائها، وعمق أبعادها، وجمال تعبيرها، تأسر الألباب، وتَشْدَهُ النفوس، وتَهُزُّ رواكد الأشواق في الإنسان إلى (ما وراء) هذا العالم الضيّق المحدود، وإلى (ما وراء) هذه الحياة التي مهما طالت فهي دون ما يرجوه من خلود، ودون ما يراوده من آمال في البقاء والأبد"[1].

إنّ سلوك **النُّورْسِيّ** سبيل الجمع بين الحسّ الأدبيّ الشّاعريّ والصّرامة العقليّة المنطقيّة، في تلازم أبديّ بين القلب والعقل، لم تصنعه الصدفة، و لم يأت عفو الخاطر، بل حكمته ظروف عصره؛ هذا العصر الاكتساحيّ لكلّ ما توارثته البشرية من قيم دينية، ومثل أخلاقية وفكريّة؛ عصر دبّ الشكّ فيه حتّى في مسلّمات العقل وبديهياته؛ عصر شهد تغيّرات وتحوّلات مفصليّة مسّت أعمدة ومرتكزات الأمّة التركيّة.كلّ هذا استدعى نمطا من التفكير وأسلوبا من المعالجة و التحليل.

هذا التنوّع والكثرة في أساليب البيان وألوان التصوير لا يعني أبدا اهتماما من **النُّورْسِيّ** باللّفظ دون المعنى، ولا بالشكل دون المحتوى. فهذا النّمط من الكتابة عنده يمثّل انتكاسة أدبيّة وحضاريّة تعتري الأمّة حال ضعفها وعندما يصاب عقلها بالوهن والهزال؛ حيث تحضر الزخارف، وتغيب الأفكار، وتحيا المظاهر وتوأد المقاصد. وهذا مذموم مرفوض عنده كونه أديب أفكار ومعان، وصاحب رسالة إيمانيّة يرد أداءها إلى قرّائه من أقصر الطّرق، مقتصدا بالكلمات ما أمكن له ذلك. ينصبّ اهتمامه بالفكرة وكيفية وصولها إلى القارئ بشكل عفويّ دون زخارف كلاميّة أو طبول لفظيّة فارغة. لذلك

[1]– أديب إبراهيم الدبّاغ، مختارات من المثنوي العربي النور، مطبعة الزهراء الحديثة، 1983، الموصل، العراق، ص12، 13، 14، 15، 16.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

ينبّه إلى أنّ الاعتناء بالشّكل وحبّ اللّفظ داء يشين الكلام؛ حيث يقول: "..كما أنّ حبّ اللّفظ مرض، كذلك حبّ التصوير، وحبّ الأسلوب، وحبّ التشبيه، وحبّ الخيال، وحبّ القافيّة مرض مثله، بل ستكون هذه الأمراض بالإفراط أمراضا مزمنة في المستقبل، كما تبدو البوادر من الآن، حتّى يُضحّى بالمعنى في سبيل ذلك الحبّ،... نعم،.. اللّفظ يُزيّن ولكن إذا اقتضته طبيعة المعنى وحاجته... وصورة المعنى تعظّم وتعطى لها مهابة ولكن إذا أَذِن المعنى، والأسلوب يُنوَّدُ ويُلمَّحُ ولكن إذا ساعده استعداد المقصود، ... والتشبيه يُلطَّفُ ويُجَمَّلُ ولكن إذا تأسس على علاقة المقصود وارتضى به المطلوب،... والخيال يُنشَّطُ ويُسيَّجُ ولكن إذا لم يؤلم الحقيقة، ولم يثقل عليها، وأن يكون مثالا للحقيقة متسنبلا عليها"[1]. على هذا فـــ (تفسير النورسي) ليس مجرّد جزالة في اللّفظ ولا براعة في الكلم، بل هو جزالة في المعنى يبهر الذّهن، وجلال في الفكر تنحى له الهامات احتراما، وشرف في المقاصد والغايات تنجذب إليه النّفوس العفيفة والشريفة. فقد أوتي صاحبه فضيلة الإتيان بكلّ جليل وجميل من الأفكار، وبكلّ شريف وطاهر من الأحاسيس والمشاعر. إذن تتجلّى حنكة **النُّورْسِيّ** في هذا التمكّن المنطقي والأدبيّ، وهذه المزاوجة البديعة بين العقل والقلب الّذي جعله لا ينجح فحسب في إضفاء الصبغة المنطقية العقليّة على أفكاره وعوالمه ومضامينه، ولكنه إلى ذلك ينجح وبمعقوليّة لا مراء فيها في شحن نصوصه بالعاطفة النّابضة، وبروحيّة الذّات التي استطاعت أن تنفذ إلى ما وراء الحواجز، وترقى إلى ما فوق الحجب.

هكذا بنى **النُّورْسِيّ** نصوصه، ولعلّ أبرز ما يمكن الحكم به على مدوّنته، أنّه عصرن الصّورة التعبيريّة، وارتحل بالخطاب الدّيني بعيدا نحو التحديث والموضوعيّة،

[1]– النورسيّ ، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر للنشر، مصر، ط1، 1990، ص 116، 115، 114.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

وخصّب أسلوب الوعظ وجعله يرقى إلى صعيد المقارنة العقليّة والطّرح العلمي بأسلوب تعبيري بديع. وهو لا يفعل ذلك –كما يقول **أديب إبراهيم الدباغ**– أكثر ممّا يفعله الرسّام البارع في الصوّر الباهتة، وقد حالت خطوطها، وانطمس معالمها، واختلطت ألوانها، فيمرّ عليها بفرشاته المطواع ليبعث الدفء والحرارة فيما بَرُد من ألوانها، ويُجسِّم ما غام وشحب من معالمها، ويمنحها أبعادها التشكيلية، ويهب الرائي عمق الرؤية، ونفاذ النظر إلى دواخلها.

3– الحوار والتواصل مع الآخر: آمن النورسي بأهمية الحوار واتّخذه أسلوبا في الحياة للتواصل مع الآخر، وحلّ المشاكل وتدبير الاختلافات؛ حيث اشتملت رسائله النورانية على محاورات عديدة أجراها مع فئات وطوائف بشريّة وأصحاب ديانات توحيدية تختلف معه فكريا أو عقديا أو ثقافيا، مركّزا دائما على عناصر الوحدة والاتفاق.

خامسا: البعد التداولي في تفسير النورسي:

يبرز تداول القول عند **النُّورْسِيّ** في تفسيره في جملة الآليات الاستدلالية الخاصة باللغة في بعدها الاستعمالي مع الأخذ في الاعتبار المتكلم، والمخاطب، والسياق، والتي تجلت فيما يلي:

1– دلالـــة مفردات اللغة:

تقوم دلالة مفردات اللغة عند **النُّورْسِيّ** على اختيار المفردة المناسبة للموقع السياقي المناسب، ثم تشع هذه المفردة في بنية الخطاب وتراكيب السياقات التي توجّه للمتلقي، فيتألف المعنى، وتتضح صورته لتكشف مثلا أن الرسالة لها نبي، وأن الرسالة هذه هي القرآن كلام الله جاء من خالق السموات والأجرام العلوية، وهذه الأرض

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

والموجودات.[1] وبهذا نجده يصنع مساحة للتواصل بمدلولات وثيقة الصلة بالإنسان يدركها العقل بسهولة: القرآن، الأجرام السماوية، الأرض. فهو يعاين الكون، وخالق الكون بعقله، ويحس فيه القارئ الصدق البعيد عن كل افتعال، ويشارك بانفعال روحي بعيد عن التكلف. وبهذا يمارس بشكل غير مباشر دورا في توجيه القارئ عند اختيار أدواته، وصياغة خطابه. وإذا كانت التداولية تبرز في البعد الاستعمالي للغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية المقامية.[2] فإن الكلمات المفتاحية تعرّف بالرسالة، فقال عنها: إنها القرآن. وإذا كانت الممارسة التداولية في إطارها الفلسفي تقوم على القراءة التفاعلية؛ بين ما يقوله المتكلّم وما يفهمه السّامع (القارئ)؛ فإنّ القراءة التي يرسّخ لها **النُّورْسِيّ** للقرآن هي القراءة التفاعلية التي تعطي الأولوية للتمازج البنائي في اتصالها بين العناصر الآتية: النص، والقارئ، والسياق. والّتي تتجدّد فيها درجات الاستقبال والتلقيّ النّفسي الإيمانيّ في تفاعلها مع المرجعيّة المعرفيّة أو الخلفيّة الثقافية عامة، والّتي تثري النصّ بمزيد من الدلالات المتولّدة عن تفاعل كيمياء النصّ مع كيمياء القارئ.[3] فالمعنى لا يغرف من بنية اللّغة وحدها بل يعرف من خلال الانفتاح على السياقات التي تستوعب الكلمات والعبارات. وهذا ما نلمحه في (رسائل النور)؛ حيث يطغى عليها الجانب التأملي، وغلبة التحليل، والقدرة على الغوص في أعماق النفس، وسبر قضاياها و"إشاراته تستدعي أحيانا بعض ألوان الفلسفة التي كانت في عصر

[1]– المصدر السابق، ص 69.

[2]– فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 19.

[3]– إدريس مقبول، الأفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص35.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

النُّورْسِيّ تعصف بمجال الإبداع؛ إذ كان عصر التمردات، والفوضى، والعبثية"[1]. كما أنّ خطابه يقوم على معجم من المصطلحات العلمية، والهندسية، والفنية في هندسة رائعة. كما طغت على موضوعاته الأشكال، ومفردات القياس، والمساحة، والأبعاد، وكلها من ارتكازات الخطاب النوريّ في الرسائل. لهذا يقول: "إذا شاهدت قصرا عجيبا من جواهر غريبة لا يوجد وقت البناء بعض تلك الجواهر إلا في الصين، وبعضها إلا في فاس، وبعضها إلا في سيبريا، وهكذا ... أفلا تشهد أن ذلك القصر بنى بنيته من يحكم على كرة الأرض ويجلب من أطرافها ما يريد في أسرع وقت"[2]. ومن ثم لا تعدو أن تكون مستويات النص من نحو، وبلاغة إلا جوانب من القوّة متضمنة في القول، وأنواع من الحجاج يربط فيها القول بالمقام والقصدية، وبفضلها يمكن تحديد استراتيجية المخاطب الذي يستدعي استحضار منظومة أفكار القارئ ليقاسمه نفس المواقف والقناعات. إنها القوّة القولية التي تجعل من المتلقي حاضرا في سياق التلفظ، وشريكا في الخطاب. الذي هو ثمرة اجتماع عناصر المرسل والمرسل إليه، والرسالة، وفيه تبرز الأدوات النحوية والآليات الخطابية المنتقاة.

2– مراتب الكلام:

إن الاهتمام بمدارج الكلام مبدأ تداولي صميم، تطبعه "دراسة تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في الوسميات الخاصة به، قصد تأكيد طابعه التخاطبي"[3]. وهذا ما يبرز عند **النُّورْسِيّ** حين يعرض إلى فنية كلام القرآن، وكلام الفلسفة، فيقول: "انظر إلى كلمات القرآن مع كونها سهلة بسيطة معروفة كيف صارت أبوابا ومفاتيح لخزائن

[1]– عشراتي سليمان، جمالية التشكيل الفني، قراءات في رسائل النور، ص131.

[2]– النورسي، المثنوي، ص 263.

[3]– فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 19.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

لطائف المعاني، ثم انظر إلى مطنطات كلمات الحكمة الفلسفية كيف أنها مع شعشعتها لا تفيدك كمالا علميا ولا ذوقا روحيا ولا غاية إنسانية ولا فائدة دينية"[1].

انظر أيضا قوله: "إن القرآن يبحث عن معاني كتاب الكائنات ودلالتها، أما الفلسفة فإنما تبحث عن نقوش الحروف ووضعياتها ومناسباتها، ولا تعرف أن الموجودات كلمات تدل على معان"[2]. ويضيف: "نعم، أين ألفاظ القرآن التي هي أصداف جواهر الهداية ومنبع الحقائق الإيمانية، ومعدن الأساسات الإسلامية المنبثة من عرش الرحمن مع تضمن تلك الألفاظ للخطاب الأزلي، وللعلم والقدرة والإرادة ثم أين ألفاظ الإنسان الهوائية والواهية الهوسية"[3].

3– الموقف الخطابي:

إذا كان منشأ المباحث الأولية في المباحث التداولية فلسفيا، فقد توفّر هذا المبدأ في تفسير **النُّورْسِيّ**، كما توفر في كتاباته الموقف الخطابي، وكل ما يؤثر فيه من سياق الحال أو المقام، وحال المتكلم، والمخاطب وصلتها بالخطاب. وما ذكره صاحب مقدِّمة الكتاب حين أشار إلى "اشتغال **النُّورْسِيّ** بالعلوم الفعلية[4] والفلسفية يتحرى مشكلا ومدخلا للوصول إلى الحقيقة"[5]. دليلا على حضور المرجعية الفلسفية في التفاعل الخطابي عنده. وانطلاقا من كون "الفلسفة تهتم باللغة منذ القدم" وأنّ "البلاغيين القدامى تداوليين؛ إذ كانوا يفكرون في العلاقة القائمة بين اللغة والمنطق، وخاصة المنطق

[1]– النورسي، المثنوي، ص 41.

[2]– م ن، ص 76.

[3]– م ن، ص 79.

[4]– يقصد العلوم التجريبيّة.

[5]– المصدر السابق، ص 29.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

الحجاجي من جهة، وآثار الخطاب في السامع من جهة أخرى"[1]. فقد انعكست هذه المرجعية على التشكيل الخطابي في "**رسائل النور**".

هذا عن الجانب الفلسفيّ، أما موقفه الخطابيّ فيظهر في عرضه لمشاهد يتحوّل الخطاب فيها إلى مشهد يشد سمعك، وبصرك، وعقلك، وهذه الحالة التأثيرية التي تفلح في تحريك القلوب، وإطلاق العزائم، تجسدت في خطاب استغل المكونات المكانية والزمانية بغية تصوير الفرضيات الذهنية وصوغها في إشكالات وشواهد عينية . يقول: "رميت حجرا في وسط حوض كبير تقول للدائرة المتشكلة من وقوع الحجر: واسعة ... واسعة ... واسعة ... كلما تتلفظ بواسعة تتظاهر دائرة الوسع"[2]. من خلال هذا النص نلاحظ أنّ **النُّورْسِيّ** ينـــزع إلى مفهمة الأفكار، حيث ينثرها ويسبغ عليها شعريته المتميزة؛ إذ تتزاوج في ذائقته الإنشائيّة خاصيّة التحليل التوليدي النثرية مع خاصيّة التركيب الاستعاري الشعرية، فحديثه بواسطة الأمثلة التي يسوقها والتمثيلات التي يوردها هي في الواقع كنايات واستعارات وتوريات يصنع من خلالها مشاهد وصور تنقل المتلقي إلى عوالم فكرية حسية مدركة. في هذا النصّ نجد **النُّورْسِيّ** ذو نزعة هندسية رياضية، وهذا بسبب مشربه العقلي، فهو لا يتردد أحيانا في أن يجسّد أفكاره تجسيدا تخطيطيا. وهو حين يوطّئ إلى موضوعه أو فكرته بهذا المدخل الحسابي، الهندسي، فإنّما يريد أن يهيئ عقولنا إلى كيفية من التمثّل والاستقبال رآها تلائم المادة التي يريد أن يعرضها والفكرة التي يشاء أن يقررها. وبالتالي تمثّل هاته الآليات فاعليّات استقطاب ذهني، لا يستهدف تخدير القارئ وجعله تحت سيطرة الاستنامة العميقة، وإنّما هو بتشكيليّته هذه يهدف إلى تشخيص المعنى وتقديم القضايا في صوّر ملوّنة تتلاءم مع

[1]– فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص20.

[2]– النورسي، المثنوي، ص 139.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

المتلقي وتعكس بيئته؛ لأنّ التلوين في خطابه هو جزء حيوي من عملية الإيضاح، وليس لعبة تخلب وحلية تأسر ضعاف المدارك.

إلى هنا يمكن القول إنّ كلمات **النُّورْسِي** تُهدي للأجيال منهجا ثقافيا وفكريا وتربويا سنده ومصدره دستور الحياة الأوّل القرآن الكريم؛ منهج يربّي الفرد وينمّي الشخصيّة ويجعله يطلب العلم ويسعى للنبوغ والريادة، للبناء لا للهدم، للخير لا للشرّ؛ منهج لا سبيل للأمّة الإسلاميّة إلاّ اتباعه، فالواقع يقتضي من الجميع العمل على تغذية المناعة، وتحصين الأجيال حذرا من أخطار محذقة بالعقيدة والفكر والسلوك، وهذا يتطلّب تقييم مسارنا من جميع النواحي لصناعة الشخصية المسلمة كما صوّرتها رسائل النّور.

ختاما يمكن القول:

ممّا لا ريب فيه أنّ عصر بديع الزّمان **النُّورْسِيّ**، كان مليئا بالأزمات والمشاكل والتحدّيات الّتي واجهت الإسلام والمسلمين في تركيا والعالم، إلاّ أنّ بديع الزّمان **النُّورْسِي** استطاع –رغم ما واجهه من اضطهاد واعتقال ونفي– أن ينشر فكره بين النّاس بفضل علمه وفطنته وحكمته وحنكته؛ إذ لم يهتم بوضع فلسفة ولا كان يهدف إلى أن يكون منظّرا على المستوى الفكريّ أو الفلسفي أو السياسي، وإنّما كان مشروعه أضخم وأعظم من أن يحلّق في فلسفات عائمة في الفضاء.

لقد وضع **النُّورْسِي** دستورا للساسة والاقتصاديين وعلماء التربية والاجتماع والدعاة إلى الدّين والأخلاق؛ دستورا مجليّا لقيم أخلاقية عديدة كالصدق والأمانة والعدل، .. كي يقفوا ضدّ هذه الحضارة التي أصبح الكذب والنفاق والتصنّع جزءا من كيانها الدّاخلي؛ بحيث أصبح من الصعب علاجها إلاّ بإقامة كيان إسلاميّ حضاري يقود الحضارة المعاصرة، بعيدا عن الرياء والكذب والنفاق.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

إنّ مشروع **النُّورْسِيّ**؛ مشروع إسلاميّ بل إنسانيّ؛ لذلك كانت رسائله إسهامات بارزة وفارقة في المنتج الإسلاميّ المعاصر، وفي تحريك الحسّ الحضاري، وإيقاظ الوعي الجمعيّ للأمّة. تحمل كلماته من خلال رسائله الّتي هي نور من القرآن العظيم، وفيض من السنة النبوية، الأدويّة النّاجعة للخروج من الأدواء والأمراض الإنسانيّة الأبديّة، الّتي تفتك بالإنسان؛ إذ أنّها "تفسّر وتكشف طلسم الكائنات العظيم"[1]. "... إنّ هذه البلاد، وهذه الأمّة، والحكومة ستكون في أقرب وقت بحاجة إلى مؤلفات من أمثال: "**رسائل النور**"، حاجة ماسّة تجاه العالم الإسلاميّ، وتجاه الدنيا بأسرها. وستبيّن وجودها وكرامتها ومفاخرها التاريخية بإبراز هذه المؤلفات"[2].

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصـــادر:

1. بديع الزمان سعيد النورسيّ ، كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر للنشر، مصر، ط1، 1990.

2. بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر للنشر، مصر، ط1، 1990.

3. بديع الزمان سعيد النُّورْسِي، كليات رسائل النور، اللمعات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصّالحي، دار سوزلر للنشر، مصر، ط1، 1990.

[1]– النُّورْسِي، سيرة ذاتية، ص253.

[2]– النُّورْسِي، كليات رسائل النور، الملاحق في فقه دعوة النّور، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر، ص269، 270.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

4. بديع الزمان سعيد النُّورْسِي، كليات رسائل النور، الكلمات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر.

5. بديع الزمان سعيد النورسي، كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، تحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر.

6. بديع الزمان سعيد النُّورْسِي، كليات رسائل النور، المكتوبات، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر.

7. بديع الزمان سعيد النُّورْسِي، كليات رسائل النور، الملاحق في فقه دعوة النّور، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر.

8. بديع الزمان سعيد النُّورْسِي، كليات رسائل النور، سيرة ذاتية، ترجمة وتحقيق: إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، ط3، 2000، القاهرة، مصر.

ثانيا: المراجع:

1. إبراهيم أبو محمد، التعليم في ضوء فكر النُّورْسِي، شركة سوزلر للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا.

2. أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، مكتبة الإيمان، المنصورة، جامعة الأزهر.

3. إحسان قاسم الصالحيّ، نماذج من تطبيقات مقاصدية للنورسي في حياته، ندوة دولية، فقه المقاصد والحكم في فكر بديع الزمان، تنظيم: كلية الشريعة، جامعة القرويين، اللملكة المغربية، ومركز بحوث رسائل النور، اسطنبول، تركيا، يومي 13 و14 مارس 2008، سوز للطباعة والنشر، ط1، 2009.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

4. أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، القاهرة، بيروت، ط2، 1986.

5. إدريس مقبول، الأفق التداولي: نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.

6. أديب إبراهيم الدبّاغ، مختارات من المثنوي العربي النور، مطبعة الزهراء الحديثة، 1983، الموصل، العراق.

7. جمال بن عمار الأحمر، الإمام بديع الزمان النُّورْسِي، حياته، دعوته، جهاده، دار الشهاب للطباعة والنشر، عمار قرفي، باتنة، الطبعة الأولى، 1984.

8. خالدة أديب، صراع الشرق والغرب في تركيا، محاضرات في الإنجليزية، محاضرة ألقتها في الجامعة الملكيّة الإسلاميّة، الخطبة الثانية: انحطاط العثمانيين.. **conflict of east and west in turkey by halide edib.**

9. زكريا بيومي، قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين.

10. سعاد بيلديرم، مكانة بديع الزمان النورسي في الفكر والحركة الإسلاميّة، حلقة دراسية، بديع الزمان النورسي وفكره ودعوته، المعهد العالي للفكر الإسلاميّ، مكتب الأردن، مركز بحوث رسائل النور (تركيا)، أكتوبر 1992.

11. عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد، تحقيق: محمد حرب، دار القلم، دمشق، ط3، 1991.

12. عبد الله الطنطاوي، منهج الإصلاح والتغيير عند بديع الزمان النُّورْسِي، دار العلم، دمشق.

13. عشراتي سليمان، جمالية التشكيل الفني في رسائل النور، دار النيل للطباعة والنشر، ط1، 2005، مصر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية –قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد:02 السنة: 2019 الصفحة: 15–50 تاريخ النشر: 30–09–2019

14. علي بن بخيت الزهراني، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، دار الرسالة، السعودية.

15. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، ط1، 2007، سوريا.

16. محمد أمحزون، عصر بديع الزمان النورسي: العثمانيون قراءة تاريخية، بحوث الندوة العلمية الدولية المنعقدة بتاريخ 17 و18 مارس 1999، تنظيم مشترك بين: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكدال– الرباط، جامعة محمد الخامس، ومركز رسائل النور، اسطنبول، تركيا، تحت عنوان: المجهود سعيد النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، سوز للطباعة والنشر، وشركة نسل للطبع، ط1، 2005.